مجلة إنسانيات معاصرة (Revue Inssaniyate Mouãssira)
المركز الجامعي صالحي أحمد – النعامة -
ISSN : 2830 - 8050
المجلد: 01 العدد: 01 مارس 2022 م الموافق لـ: شعبان 1443 هـ

تقديم "الكتاب الذهبي لشهداء مدينة وهران"

لمحمد فريحة

Presentation of the "Golden Book of the Martyrs of the City of Oran "For Muhammad Fariha

الدكتور. عبد القادر خليفي

مقدمة:

كنت أرغب في الكتابة عن المحكوم عليهم بالإعدام في الجزائر بعامة فهممت بالكتابة عنهم في الجنوب الغربي الجزائري، واتصلت ببعض من لهم دراية بولاية النعامة في الموضوع، فلم أجد ما كنت أود الكتابة عنه، فحولت نظري إلى مدينة وهران التي أقطن بها. ومن أجل ذلك كان عليَّ الاتصال بـ: "**الجمعية الوطنية لقدماء المحكوم عليهم بالإعدام 1954–1962**" فرع وهران. هناك في مقر الجمعية التقيت بالسيد بن عياد قدور رئيس المنظمة لولاية وهران (بتاريخ 6-6-2021)، الذي اقترح علي الكتابة عن سلماني شعبان وأمدني بتعريف بسيط عن هذا الشهيد. سألت عن عائلة الشهيد وعن الوثائق الرسمية فلم أحصل على مرادي. عدت إلى المنزل وأنا أفكر في كيفية الحصول على معلومات وافية عن الشهيد المذكور، وحتى عن غيره فقد رأيت وريقات مختصرة عن شهداء مدينة وهران لدى السيد بن عياد قدور.

قررت زيارة المكتبة الرئيسية الخاصة الموجودة في وسط مدينة وهران جلت قليلا بين الرفوف، وأخيرا سألت البائع إن كانت هناك مؤلفات عن المحكوم عليهم بالإعدام بوهران، فدلني على كتاب محمد فريحة عن "**شهداء مدينة وهران**". بعد اطلاعي على محتوى الكتاب تبين لي أن أقوم بتقديم هذا الكتاب وإعداد قراءة عنه، بدل دراسة الشخصيات لنقص المعلومات عنها؛ فماذا نعرف عن المؤلف؟ وماذا نعرف عن الكتاب؟.

التعريف بالكاتب: كنت قد اتصلت بالمجاهد محمد فريحة مرتين: كانت المرة الأولى بمقر "فضاء التاريخ والذاكرة لمدينة وهران" (Espace historique et mémoire. Oran.) الذي يرأسه هو نفسه، والكائن بشارع الأمير عبد القادر، وحينها وجهني إلى مقر "الجمعية الولائية لقدماء المحكوم عليهم بالإعدام 1954-1962. "والمرة الثانية حين أهداني كتابا عن المجاهد محمد بن أحمد المدعو "الرائد سي موسى" الذي كنت في حاجة إليه في موضوع آخر. وحينها أخبرته عن نيتي في تقديم كتابه هذا.

محمد فريحة مجاهد وكاتب متألق من مواليد سنة 1939 بوهران، يقول عن نفسه أنه نفذ أول عملية فدائية وعمره لا يتعدى 16 سنة ضد شرطي فرنسي في حي سيتي بيتي(حي بدر حاليا) بوهران. استلهم الروح الوطنية والنضالية من أخويه بن يوسف وأحمد، والتقى بعدد من المجاهدين فتأثر بهم ومن هناك اشتاق إلى الانضمام إلى العمل الثوري. وكان المجاهد صحراوي الحبيب هو من لبَّى له هذه الرغبة بضمه إلى إحدى الخلايا الفدائية بوهران

عمل ضمن مجموعة فدائية كانت تتلقى الأوامر من سي لعروسي مسئول القطاع المدني بوهران(بعد اعتقال المسئولين سي عبد الوهاب وسي مولاي) وبعد اكتشاف أمره انتقل إلى الجبل(جبل سيدي غالم بنواحي تافراوي) تحت قيادة سي مرباح، أصيب هناك بجروح فنقل على إثرها إلى القواعد الخلفية بالمغرب رفقة 45 جريحا[1].

هناك في القواعد الخلفية بمدينة وجدة، حيث الولاية الخامسة التاريخية تَعَرف على بعض كبار المسؤولين في الثورة كقايد أحمد والرائد رشيد وأحمد مدغري ونجادي محمد وغيرهم.. وبعد شفائه عاد إلى المنطقة الشمالية تحت قيادة العقيد بن قدادرة عبد المجيد.

وبعد الاستقلال اعتزل الحياة السياسية طواعية لمدة طويلة. ثم عاد إلى النشاط والنضال من جديد عن طريق الكتابة، كما انضم سنة 1980 إلى المنظمة الوطنية للمجاهدين كعضو في مكتب اللجنة الولائية، مسؤول مصلحة كتابة تاريخ الثورة في مدينة وهران. وهو ذو نشاط في مجال التأليف وتنشيط الندوات للتعريف بالثورة وبرجالها، وكانت آخر ندوة عقدت في شهر ديسمبر 2021 حول الشهيد بلقاسم زدور إبراهيم ابن الشيخ الطيب المهاجي. عمل على إصدار مجموعة من المؤلفات عن تاريخ الثورة، منها:

[1] – المجاهد محمد فريحة، بقلم سعيد م. جريدة المساء ليوم 2011/10/31. الزيارة في 2021/6/10.موقع: WWW.djazairess.com/elmasa/53478

1-Oran le mouvement National à la Guerre de libération 1945-1962. (2 T)

2-Le livre d'or des martyrs de la ville d'Oran. (2012).

3-Décembre 1960 à Oran. (2013).

الوصف الخارجي للكتاب[1]

يتضمن الوجه الخارجي الأول –وهو على شكل مجلد– اسم الكاتب في الأعلى، يليه اسم الكتاب بخط مميز، مُذهب اللون وبارز قليلا عن الصفحة يَطغَى العنوان على مجمل الصفحة الخارجية،وخُصص الجزء الأسفل من الغلاف للآية القرآنية التالية: "ولا تَحْسِبَنَّ الذينَ قُتِلوا فِي سَبيلِ اللهِ أمْواتاً، بَلْ أحْياءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرزْقونَ" تليها عبارة صدق الله العظيم، وهي الآية 169 من سورة آل عمران وخلف الآية صورة لأحد المساجد وتنتهي صفحة الغلاف باسم دار النشر وهي دار أنوار المعرفة. وتخلو صفحة الغلاف الأخيرة من أي كتابة أو صورة.

محتوى الكتاب: يتكون الكتاب من 303 صفحة من الورق المقوى الممتاز ومن الحجم الكبير، وقد قسم الكاتب مؤلفه هذا –بعد المقدمة والتقديم– إلى مجموعة من العناصر.

[1] -Mohamed Freha, Le livre d'or des martyrs de la ville d'Oran, éditions Anwar Al Maarifa, Mostaganem 2012.

ففي البداية جاء العنوان الأول كالتالي: "**بعض المحطات التاريخية لوهران**"، ذكر فيها ظهور مدينة وهران سنة 902–903م على يد البحارة الأندلسيين ليبقى الصراع عليها بين أمويي الأندلس من جهة والفاطميين من جهة أخرى، مشيرا إلى تعرضها للهدم والاندثار مرارا لتعود مرة بعد المرة إلى سابق عهدها من النمو والازدهار. وقد ذكر فيها بعض الدول الإسلامية التي حكمت المدينة، فمن الأمويين إلى المرابطين إلى الموحدين فالزيانيين الذين وقعوا بين الحفصيين شرقا والمرينيين غربا، ليحتلها الإسبان من سنة 1509حتى سنة 1792م حين استعادها الباي محمد بن عثمان الكبير والذي أعاد بناء المدينة واهتم بالعلم والعلماء، وتولى عليها بعد ذلك البايات الذين كان آخرهم الباي حسن الذي استسلم سنة 1830 لتقع المدينة فريسة للفرنسيين.

وقد استعرض بعد ذلك مقاومة الأمير عبد القادر للاحتلال الفرنسي وإنشائه الدولة الجزائرية المعاصرة، هذا الأمير الذي يمثل النموذج الحي للمقاومة الشعبية التي عاصرته والتي تلته فيما بعد، مستعرضا بعد ذلك بعض الأحداث كالحملة التي قادها الجنرال دي ميشيل في قوات ضخمة ضد دوار الغرابة مُبيدا إياهم في ليلة مفاجئة من يوم 8 ماي 1833، تلك السياسة التي كانت ممنهجة من قبل السلطات الاستعمارية، وقد ذكر الكاتب مقتل الرجل الصالح سيدي قدور دَبِّي وزوجته المسنة في هذه الحملة

كما تعرض لبعض الشخصيات الفاعلة في وهران في تلك الفترة، مثل خيرة بنت بن داود التي فتحت دارها ليتامى مجازر 8 ماي 1945 القادمين من الشرق الجزائري، ثم أبرز الدور البارز الذي أداه المصلح الشيخ سعيد الزموشي الذي حل بوهران سنة 1944، ممثلا للحركة الإصلاحية مرحَّبا به من قبل سكان المدينة والذي ذاق السجن في بداية الثورة، وقد مورس عليه التعذيب مما أثر على صحته وبعد إطلاق سراحه غادر المدينة في اتجاه المغرب بناء على توجيهات قيادة الثورة.

وتحت عنوان: **مدينة وهران شاهدة**: استعرض ظهور المنظمة الخاصة (L'OS) في مسيرة الحركة الوطنية بوهران مع قادتها، وفي مقدمتهم حمو بوتليليس مع نهاية الأربعينيات من القرن العشرين استعدادا للثورة المسلحة وفي سنة 1949 كانت عملية الهجوم على مركز بريد وهران والاستيلاء على قيمة مالية معتبرة من أجل شراء السلاح والذخيرة تحضيرا للكفاح التحرري[1] وكانت سنة 1950 سنة إلقاء القبض على 48 عضوا من المنظمة الخاصة (L'OS) وتقديمهم أمام محكمة وهران. وفي سنة 1951 استقبلت وهران

[1]–نجحت الخطة وكان "بختي نميش" قد سهل الخطة لوجوده موظفا في هذه المؤسسة.وقد قاد "أحمد بن بلة" مجموعة كوماندوس شنت الهجوم بمشاركة سويداني بوجمعة وحسين أيت احمد وحمو بوتليليس وبلحاج بوشعيب والحاج بن علا. وكان من المتوقع الاستيلاء على 30 مليون فرنك فرنسي، إلا أن الحصيلة لم تزد على 3.178 مليون فرنك فرنسي وكلف محمد خيضر بنقل الأموال إلى الجزائر نظرا لحصانته كنائب، ومن ثم استعملت تلك الأموال لشراء الأسلحة من ليبيا

عددا من إطارات المنظمة الخاصة، على إثر اكتشافها، منهم بوصوف – بيطاط– بن عبد المالك رمضان في سرية تامة.

ويذكر الكاتب أن الجماهير الوهرانية كانت واعية بما يجرى حولها سواء بالاحتجاج على الاعتقالات التي طالت عددا من المناضلين، أو بالقيام بالمظاهرات بالمدينة الجديدة للدفاع عن القضية الوطنية من جهة، مُبْدين احتجاجهم على نفي السلطان المغربي إلى مدغشقر تضامنا مع الشعب المغربي الشقيق من جهة أخرى.

وفي شهر أوت 1954 تم إنشاء خلية تابعة للجنة الثورية للوحدة والعمل تحت قيادة الحاج بن علا[1]. وفي أول نوفمبر تمت مهاجمة (مخزن البارود) من قبل قوة صاعقة تحت قيادة شريط علي الشريف. وتفاعلت مدينة وهران مع الثورة المسلحة في تكثيف العمليات العسكرية ضد السلطات الفرنسية وبخاصة العمليات الفدائية في المدينة سنتي 1955 و1956.

[1]–بن علا الحاج –بحسب علي لهاري، من سجل شهداء ومجاهدي الولاية الخامسة، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2008 ص105–.من مواليد ودان بالونشريس سنة 1923، حصل على الشهادة الابتدائية وعمره 14 سنة، ضابط صف بالجيش الفرنسي 1943–1945 ناضل في حزب الشعب منذ سنة 1945 فعضو بالمنظمة الخاصة بالغرب الجزائري. شارك في الهجوم على مركز بريد وهران سنة 1949 وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات. بعد اندلاع الثورة أصبح نائبا للعربي بن مهيدي للمنطقة الخامسة وشارك مع سي عثمان بن حدو في إنزال السلاح من السفينة "دينا" في مارس 1955 بالحدود الجزائرية المغربية.ألقي عليه القبض في 16نوفمبر 1956 ولم يطلق سراحه حتى الاستقلال سنة 1962 تقلد رئاسة المجلس الوطني التأسيسي بعد استقالة فرحات عباس سنة 1963 توفي في 3 ماي 2009.

ويضيف أنه في نهاية سنة 1955 قوَّى التنظيم السياسي–العسكري لجبهة التحرير الوطني،أجهزته لجمع التبرعات والقيام بالاستخبارات والدعاية والشؤون الاجتماعية والصحية. أما الفِرق العسكرية فقد تشكلت على مستوى الأحياء الشعبية، وبخاصة في الحَمْري ومَدْيوني وفِكتور هيغو وبْئِي لاك (Petit–lac) وراس العين والمدينة الجديدة. كما تم مَد قرى السينيا ومسرغين والكرمة والمرسى الكبير هي أيضا بجماعات مسلحة وابتداء من مطلع سنة 1956 تم توزيع 350 عضوا من الشعبة العسكرية إلى عدة فرق وخلايا تتكون من 15 شخصا لتنفيذ عمليات عصابات في الأحياء الأوربية وبخاصة الهجمات بالقنابل ورمي المولوتوف (De cocktail –molotov) التي تُحدث خسائر بشرية كبيرة.

وأنه في هذه السنة أيضا –1956– سيُرسخ التنظيم السياسي–العسكري الحضري سمعته على أرض الكفاح المسلح في مدينة وهران وسيكون لعمله تداعيات نفسية عميقة، وستُكرس جبهة التحرير الوطني كقوة مسلحة، خلال إضرابات 5 جويلية 1956[1]، حيث سيُصاب شرطي جنائي بجروح خطيرة في المدينة الجديدة، أمام السلطات المدنية والعسكرية

[1]–كان للإضرابات دور مهم في جمع مختلف أطياف المجتمع الجزائري كما أسهمت في دعم الثورة التحريرية بمساهمة الجميع كل بطريقته وأسلوبه كما كان لها صدى كبيرا داخل المجتمع الجزائري ولدى السلطات الاستعمارية ومنه تحريك المجتمع باتجاه الالتفاف الواعي حول الثورة، التي كانت في حاجة ماسة إلى توسيع امتدادها جغرافيا وشعبيا في الداخل بالإضافة إلى صداه في الخارج. وهو أول إضراب منذ تفجير الثورة في أول نوفمبر.

الفرنسية،التي كان على رأسها عامل العمالة بيير لامبير (PierreLambert) ومنها اغتيال أربع مفتشي شرطة في السوق المغطى بسيدي عقبة (المدينة الجديدة) من قبل مجموعتين فدائيتين لحي البلانتور والحمري. لكن وفي شهر نوفمبر تم توقيف قائد المنطقة الوهرانية بن علا الحاج ونائبيه جلولي حبيب وبن سعيد من قبل السلطات العسكرية الفرنسية.

وفي شهر ديسمبر 1956 آلت القيادة إلى بغدادي محمد بنيابة كل من سي مولاي وبن طاهر عبد الرحمن، بينما مسك الفرع العسكري دحاوي دحو ودرار مفتاح محمد. ورغم إلقاء القبض على عدد هام من أعضاء المنطقة سنة 1957 إلا أن الأعمال الفدائية تواصلت، وقدم سكان وهران العديد من أبنائهم فداء للحرية[1].

وتحت عنوان: **الشهداء** قسم الكاتب هذا العنصر إلى أقسام: –شهداء المقصلة– شهداء الرمي بالرصاص– الشهداء المختطفون والمقتولون في كناسطيل– قائمة شهداء وقتلى سجن وهران– شهيدات مدينة وهران–

[1]–يذكر في هذا المجال المجاهد محمد بن عبورة شيئا آخر وهو ما يلي: الشبكة الحضرية لمدينة وهران 1957/1956 "منحدرة من شبكة بن علا الحاج بعد إلقاء القبض عليه في نوفمبر 1956، كانت تحت إمارة بغدادي محمد(سي عبد الوهاب) ونائبه (سي عبد اللطيف) مولاي أحمد. وكان الفرع السياسي–الإداري هو العمود الفقري للعمل العسكري الذي قاده سي عبد الرحمن بن طاهر المسؤول العسكري في المنطقة الحضرية بوهران هذا الفرع قام بأكثر من 75 عملية بعشرات الفدائيين الجسورين." عن:محمد بن عبورة، مشوار مقاوم وهراني، ترجمة سميرة خمليشي، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران 2006، ص43.

شهداء مدينة وهران[1] مبرزا فيها ما عاناه أبناء الجزائر من تعذيب وتنكيل بمختلف الطرق الجهنمية التي تدرب على فنونها زبانية الاحتلال. وتم تقسيم ذلك إلى ما يلي:

1- **مسيرة 21 شهيدا**، من الصفحة 48 حتى 95 ينتقل الكاتب إلى استعراض حياة البعض من الشهداء: منهم حمو بوتليليس- زدور إبراهيم بلقاسم- زبانة أحمد- شريط علي الشريف- بغدادي محمد وآخرون..[2]

2- **مراكز التعذيب السرية شبح الموت** ويأتي ذلك من الصفحة 98 حتى 108 وتتخلل الكتابة بعض الصور الفظيعة والبشعة وغير الإنسانية لقتلى التعذيب وحتى تمزيق أجسادهم. يبين فيها الكاتب استغلال الفرنسيين الثكنات والمزارع التي نقلوا إليها آلاف المناضلين والمناضلات من جبهة التحرير الوطني للاستنطاق والتعذيب من قبل إرهابيي(Dispositif Opérationnel de Protection)

[1]-وقد ورد في الصفحة 164 قائمة اسمية للمحكوم عليهم بالإعدام بالمقصلة بين سنتي 1956و1958 في سجن وهران. وفي الصفحة 165القائمة الاسمية للمحكوم عليهم بالإعدام رميا بالرصاص في كناسطيل بين سنتي 1959 و1960.

[2]-ومنهم أيضا: حوحة محمود المدعو محمد- سَكِّيوْ بغداد- مزوار ديدوش الملقب بـ: سي عبو سفيان- مولاي امحمد- هيبة هواري عابد الملقب بـ: ناني- دحاوي دحو- بلجدد أحمد الملقب بـ: سي بلعتروس- صالح بن محمد- بوبكر علي الملقب بـ: سي الطيب وسي رابح- بن براهيم جلول الملقب بـ: زهير- بشير محمد الملقب بـ: سي صالح الدين- عبد الحق محمد الصغير المدعو حمو- مخربش علي الملقب بـ: سي يزيد- بن زاير بن يبقى الملقب بـ: سي بلقاسم- عدة بن عودة الملقب بـ: سي زغلول- جبور معمر (من الكتاب نفسه).

3- **السيارات المفخخة للمدينة الجديدة** وهو مبحث يبدأ من صفحة 109 حتى 119، وهو من تحرير الأستاذ صادق بن قادة. وكان مصدر هذه التفجيرات هو تدخل المنظمة السرية –الفرنسية–(OAS) التي عارضت استقلال الجزائر. ففي اليوم 23 من شهر رمضان (28 فيفري 1962) انفجرت سيارتان مفخختان تحملان متفجرات في الساعة 16.40 مما أدى إلى مقتل 80 شخصا أغلبهم مجهولو الهوية، وإلى 105 جريحا لقد وقعت الواقعة في مكان تجمع الجزائريين في المكان المعروف بـ: "الطحطاحة" قبيل آذان المغرب. وقد انتشرت أشلاء القتلى في كل مكان، وكان المنظر رهيبا.

ويذكر الكاتب من جهة أخرى تعرض الكثير من معتقلي السجن المدني بوهران للاغتيال من قبل جماعات من المنظمة السرية بتواطؤ مع الحراس... وكان الجنرال راوول سالان قد أعلن في 23 فيفري 1962 الحرب الأهلية بتعليمة تحت رقم 29، أعقبتها سلسلة من الاغتيالات المتتالية ضد السكان الجزائريين وحتى الأوربيين الذين خالفوهم الرأي أو كانوا مساندين لسياسة ديغول في التفاوض مع رجال الثورة. وتوالى القتل الفردي والجماعي هنا وهناك في كل الأوقات وبمختلف الوسائل.

4- **المحكوم عليهم بالإعدام بالمقصلة** جاء ذلك من الصفحة 120 حتى 135 استعرض الكاتب مجموعة منهم للتعريف بهم، وهم: عبد اللهي بوزيد-عامور أحمد-بلعيد إيخلف-بن بختي محمد-بومليك عبد القادر – سلماني شعبان- سنوسي عبد القادر- طواهرية عبد القادر.

5- ب**المحكوم عليهم بالإعدام رميا بالرصاص** وذلك من صفحة 135 إلى 149، وأورد الأسماء التالية: بلبشير محمد- بن داود لعرج- بوطيبة المكي- حمداوي جلول- رقيبة غالي- صافة قدور- صقال شعيب.

6- **المحكوم عليهم بالإعدام بالاختطاف والقتل** ورد ذلك من صفحة 152 حتى 162، أورد الأسماء التالية: ين جبار عواد- فريح إبراهيم أحمد- قراب هواري- عمداني عدة الملقب بـ سي عثمان.

7-**شهيدات مدينة وهران**، يرد ذلك بين صفحات 166- 193 تعريف بأسماء الشهيدات التالية (12): بنخيرة خيرة- الأختين بن سليمان حورية وسعدية المعروفة بنصيرة- شراك فاطمة- قيابي جدية- الخيتري يمينة – نوار خديجة المعروفة بـ: فضيلة- سعد الهاشمي عمار عيشة- سعيد بلعيد حسنية- صوفي زبيدة- طويل خيرة.

8-**شهداء** مدينة وهران من الصفحة195 إلى291.بالصورة والتعريف المختصر (384 شهيدا).

9-**شهداء** جزائريون من أصول أوربية الصفحة 293. (19 شهيدا)

10–وقبل الخاتمة عرض علينا تعريفا **للسيدة ولد قاضي ستي** (1904–1965)[1]، التي أوردها مبررا ذلك لمكانتها لدى سكان وهران وبخاصة لسلوكها الخير مع الفقراء ومنحها لمساحة من أرضها لتقام عليها مقبرة عين البيضاء. والتي استقبلت يتامى سطيف وقالمة وخراطة بعد مقتل أوليائهم في مجازر 8 ماي 1945. كما ساندت الثورة، وكان منزلها بحي "الكمين" ملجأ للمبحوث عنهم من السلطات الفرنسية ابتداء من سنة 1955. وقامت بدور "اتصال" بين قادة منطقة وهران. وفي جانفي 1957 تم توقيف قائد الشبكة الحضَرية بغدادي محمد المعروف بـ: "سي عبد الوهاب" بمنزلها ومعه كمية من السلاح. وتم اعتقالها هي أيضا وتعذيبها بعد أن كان يُعتقد أنها صديقة لفرنسا.

وينتهي الكتاب بخاتمة في الصفحة 299. وفي الملحق صفحة للنشيد الوطني "قسما" تليه خريطة تاريخية لمنطقة وهران خلال الثورة.

[1]–من عائلة غنية تولى رجالها مناصب أغوات وباشاغوات، وأمها هي القايدة حليمة ابنة زياني محمد ولد سي أحمد سيدي بن يوسف. كانت تملك مزرعة كبيرة بالقرب من بلدة حاسي الغلة.

الملاحظات: بعد قراءة هذا المؤلَّف تبينت لي الملاحظات التالية:

1– أول ملاحظة هي أن نهنئ أنفسنا نحن الجزائريين بوجود هذا الكتاب الذي يجمع بين الشهادة والدراسة، به معلومات قيمة عن جهاد مدينة وهران. ومن هذا يتبين لنا جهاد الجزائريين بعامة وسكان وهران بخاصة ضمن الثورة التحريرية، وهذا ما ننتظره من مجاهدينا، وهو أن يكتبوا مذكراتهم للأجيال القادمة التي سوف لن تعرف عن الثورة سوى بالسماع وهذا في أحسن الأحوال، على أن يتوفر مثل هذا الكتاب في المكتبات العمومية ليستفيد منه الطلاب والباحثون.

2– تسمية الكتاب والهدف من تأليفه: يذكر الكاتب أنه كان ينوي تسميتهب "حتى لا ننسى"، ولكنه تراجع وسماه "الكتاب الذهبي لشهداء مدينة وهران". وللمعنيين قيمة كبيرة، إلا أن المعنى الثاني أعطى لشهداء وهران قيمة معنوية كبيرة، لما لهذا المعدن الثمين (الذهب) كرمز محبوب في مجتمع الناس،وربما تقليدا لما كان قد كتب عن بعض الشخصيات البارزة في التاريخ الجزائري في الحقبة الاستعمارية[1].

أما **الهدف** من تأليفه للكتاب، فيذكر أنه من أجل إخبار الأجيال القادمة عن التاريخ الحقيقي لبلادنا وتذكيرهم بالحقبة الاستعمارية الطويلة

[1] -Jeanne et André Brochier, Le livre d'or de l'Algérie. Dictionnaire des personnalitéspassées et contemporaines, Bacconnier Frères, Imprimeurs-éditeurs, Alger 1937.

التي ذاق فيها الشعب الجزائري السيطرة والإذلال، وما بذله أبناؤه من أجل تحقيق النصر والحرية وليُظهر لهم أن تاريخنا خُط بحروف من الدم والدموع من قبل محاربين معروفين أو مجهولين رجالا ونساء، إلى أن حل شهر نوفمبر من سنة 1954، الذي قام فيه رجال صناديد وقفوا أمام أكبر قوة عسكرية في العالم آنذاك، وفرضوا عليها الاعتراف بحريتنا واستقلالنا.

ويهدي المؤلف كتابه هذا إلى شهداء مدينة وهران، الذين ضحوا من أجل الهدف النبيل لروح نوفمبر وإلى كل المجاهدين في المقاومات الشعبية.

3– الإمضاء: مما يتميز به هذا الكتاب هو اشتراك مجموعة من الكتاب في إنجاز عناصره المختلفة، ينتهي كل عنصر من الكتاب باسم كاتبه، وإذا كان محمد فريحة هو كاتب أغلب العناصر، فإن هناك مجموعة ممن ساعد في كتابة عناصر مختلفة، بلغ عددهم بحسب ما أحصيت 23 شخصا ساهم أغلبهم في تحرير مقال واحد، منهم الأستاذ صادق بن قادة وصوفي فؤاد مدير أرشيف ولاية وهران سابقا[1].

[1]–فؤاد صوفي(1)– صادق بن قادة(2)– ت. لكحل(1)– بورحية لزرق(1)– سحري فضيلة(3)– بن دينية عبد الله(1)– مصطفى بوبكر(1) – بن زاير محمد(1)– الدكتور قليل(1)– دوادي بن عودة(1)– سنوسي غوتي(1)–بلحسن بوحجر(1)–ف.ابراهيم حاج(1)– بوطيبة(1)– هواري غايلة(1)– معمري هاشمي(1)– شرفاوي محمد(1)– حاج قيابي(1)– ساهل امحمد(1)– زهرة بن يحي(3)– فتيحة زموشي(1)– تشيكو (1)– عبدو(1).

4– التوثيق: هناك نقص في التوثيق، حيث لم يبين الكاتب ما هي المصادر والمراجع التي اعتمدها في عمله هذا، فعلى طول الكتاب لا نعثر على أي مستند شفويا كان أم وثائق أرشيفية أم مذكرات أم مراجع عادية فمهما كان الكاتب شاهدا للحدث أو قريب منه، فلا بد أن يدعم عمله بالمصادر والمراجع المعتمدة بالإضافة إلى أن الكاتب محمد فريحة غادر مدينة وهران في اتجاه المغرب (جويلية 1956) بعد إصابته بجروح استلزمت نقله إلى حيث وفرة العلاج في السنوات الأولى من اندلا ع الثورة. كما أنه لم يُعرِّف القارئَ بالأشخاص الذين شاركوا في كتابة بعض عناصر الكتاب، باستثناء الأستاذ صادق بن قادة والأرشيفي فؤاد صوفي الذيْن ألحق اسم كل واحد منهما بكلمة "مؤرخ"، ولم يزد على ذلك شيئا.

وإذا قارنا هذا المؤلَّف –مثلا– بالمؤلف الفرنسي المشابه له في التسمية والمعروف بـ "الكتاب الذهبي للجزائر سنة 1937 " لجون وأندري بروشيي (Jean et André Brochier) المذكور آنفا، نجد هذا المؤلَّف يعتمد على أربع مصادر متخصصة، وردت في الصفحة 305 من الكتاب المذكور وهذا يؤكد وجوب ذكر المصادر المعتمدة في أي عمل مكتوب.

5– المنهجية: تتطلب المنهجية توازنا بين عناصر الموضوع من جهة وتناسق أجزائه وتكاملها من جهة أخرى. فهل وفق الكاتب في هتين الناحيتين؟.

يمكننا القول أن ترتيب عناصر الكتاب جاءت موفقة نسبيا، إلا أن ملاحظتنا هي إدخال عناصر غير متناسقة مع المحتوى. فإذا كان عنوان الكتاب هو: "شهداء مدينة وهران"، فإن كل ما يخرج عن ذلك سيكون نشازا. وفي هذا المجال أدخل الكاتب الحديث عن إحدى نساء وهران المشهورات ضمن عنوان: "مجرة سيدي قدور الدبِّي في 8 ماي 1833" وهي خيرة بنت بن داود أو "خيرة الحمرا"، كما ألحق بهذا العنصر الحديث عن المصلح الشيخ الزموشي. فهل هناك رابطة بين عنوان العنصر وبين هتين الشخصيتين؟ وفي الأخير وقبل الخاتمة جاء الحديث عن إحدى نساء وهران المشهورات وهي "القايدة ولد قاضي ستي (1904-1965)"، فما موقعها من الكتاب ومِن شهداء مدينة وهران؟ ومع ذلك يمكن حل هذا الإشكال لو خصص الكاتب عنصرا أخيرا يختار له عنوانا خاصا، وهذا تجاوزا لأن عمله ليس أكاديميا. ونسجل هنا اعتذار الكاتب (ص:11) على هذه الإضافة التي رآها ضرورية للتعريف بامرأتين كان لهما تأثير على سكان وهران رغم أنهما ليستا شهيدتين، سواء كان ذلك في الحكايات الواقعية أو غير الواقعية ويبقى التساؤل عن سبب اختيار هؤلاء دون غيرهم. فلماذا لم يتم التعريف بالشيخ الطيب المهاجي (الوهراني) مثلا، وهو أشهر عالم في تلك الفترة؟ وأي فضل للثلاثة المذكورين على غيرهم؟.

كما نلاحظ خللا بَيِّنا في ترتيب عناصر الكتاب. فهو يبدأ بالتعريف بواحد وعشرين شهيد، لينتقل بعدها إلى عنصر آخر تحت عنوان: "مراكز

التعذيب الخفية.." وبعدها: "السيارات المفخخة بالمدينة الجديدة. ليعود إلى الشهداء ابتداء من الصفحة 120 حتى الخاتمة، هناك عدم تناسق وعدم تتابع للعناصر.

6– الجانب الديني وارد من خلال الاستئناس بآيتين من القرآن الكريم أولهما الآية الموجودة على الغلاف الخارجي والمكررة في الصفحة الخامسة وهي: "ولا تَحْسِبَنَّ الذِينَ قتِلُوا في سَبِيلِ اللهِ أمْوَاتاً، بَلْ أحْياءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزقونَ" آل عمران (169). وفي الصفحة (46) وردت الآية التالية: "كُل نَفْسٍ ذائِقةُ الموْتِ، وَإنمَا تُوَفونَ أجُورَكُمْ يَوْمَ القِيَامَة."آل عمران (185) وقد جاءت هذه الآية قبل التعريف بالشهداء بمختلف أصنافهم وقد تم ترجمة الآيتين إلى اللغة الفرنسية في الصفحة نفسها، كما شغلت كل آية صفحة كاملة.

7– صفات للشهداء اعتمد المؤلف في التعريف بالشخصيات المجاهدة والتي تم الحكم عليها بالإعدام من قبل السلطات الاستعمارية بإعطاء صفة لكل واحد بحسب ما اشتهر به، مصاحَبا لاسمه وقبل التعريف به،وهو ما نراه صائبا فمثلا كتب عن حمو بوتليليس ما يلي: "حمو بوتليليس المختطف عند خروجه من السجن" – "زدور ابراهيم بلقاسم اكتُشف جسده المشوه مكبلًا داخل كيس" – "زبانة أحمد أول مناضل من جبهة التحرير يُعدم بالمقصلة"– "شريط علي الشريف عضو نشيط مكلف بعمليات الصاعقة"– "مولاي امحمد حكم عليه بالإعدام أكثر من مرة"

وهكذا... وبهذا أعطى المؤلف للقارئ نظرة خاطفة للشخص قبل التوسع في التعريف به.

8– التعريف بالشهداء: هناك قسمان من الشهداء، القسم الأول له تعريف مقبول تتراوح صفحاته من صفحة واحدة إلى ثلاث صفحات ويشمل المحكوم عليهم بالإعدام بعامة، أما بقية الشهداء فيقتصر التعريف بهم على: الاسم واللقب– تاريخ الميلاد– تاريخ الالتحاق بالثورة– تاريخ الاستشهاد. وإذا كان قد رتب أسماء المحكوم عليهم بالإعدام ترتيبا أبجديا فإنه لم يفعل ذلك في ترتيب الشهداء في الطائفة الأخيرة من الكتاب (وعددهم 384 شهيدا)، ومع ذلك فهو مشكور على الجهد الذي بذله في توفير تلك المعلومات عنهم.

9– الصور: استغل المؤلف فن التصوير، ووضع لكل مجاهد صورته الخاصة مصاحِبة لاسمه، كما عرض صورا مختلفة على مدار الكتاب، منها صور التعذيب وتفجير السيارات وتفنن العسكر الفرنسي في إذلال الجزائريين. والواقع أن الصورة أصدق من أي شيء وبخاصة صور التعذيب وهو مجهود كبير يشكر عليه الكاتب وقد أشار إلى الجهد الكبير الذي بذله من أجل إخراج جيد للصور التي مر عليها زمن طويل، كما وجه دعوة لعائلات وأصدقاء الشهداء لمده بمعلومات أو بصور جيدة يضيفها في الطبعة الثانية عند تنقيح الكتاب (مكتبات الجليس).

10– وهران تحتضن كل الجزائريين حاولت البحث عن أصول المحكوم عليهم بالإعدام؛ فوجدت العديد منهم ولدوا خارج وهران، مما يؤكد شمولية الثورة وتضامن مختلف أبناء الجزائر. وينطبق هذا على مختلف جهات الوطن لقد كانت مدينة وهران –عاصمة الغرب الجزائري– مقصدا للعديد من الأفراد والعائلات من مختلف مناطق الجزائر، سواء بغرض العمل بها أو الانتقال منها نحو أوربا لضيق العيش في بلادهم، وعندما اندلعت الثورة شارك فيها الجميع حيثما كانوا.

11– الشبكة الحضرية لوهران: نريد في هذه النقطة أن نعرف بالشبكة الحضرية التي كان ينتمي إليها جل هؤلاء الشهداء الفدائيين. وهم التنظيم الذي كان قائما في مدينة وهران، وهو يعتمد أساسا العمل الفدائي يُعَرفها محمد بن عبورة –الذي كان عضوا في الجناح السري للمنطقة المستقلة في الجزائر العاصمة سنة 1956، قبل أن يتنقل إلى وهران وينتمي إلى الشعبة الحضرية فيها– ابتدأت الشبكة الحضرية لمدينة وهران تحت قيادة بن علا الحاج الذي ألقي عليه القبض في نوفمبر 1956 لتنتقل القيادة من بعده إلى بغدادي محمد (سي عبد الوهاب) ونائبه مولاي أحمد.

أما "القاعدة السياسية الإدارية فكانت مفصولة ومتفرقة عبر فرق من عشرة مناضلين متفرقين على ثلاث شبكات مستقلة الواحدة عن الأخرى..."[1] وأن الشرطة والإدارة الاستعمارية تتبعت بغدادي محمد ومولاي أحمد (عبد اللطيف) لغاية استشهادهما في فجر الفاتح من شهر جويلية 1959 بكاناستيل شرق وهران بـ: 12 كم رميا بالرصاص. وأنه "في هذه الشبكة، وتحت إشراف درار محمد (سي قويدر) بمساعدة نائبيه بلحاج الهواري وبن عبورة، وفي خمسة فروع –دون أي اتصال بينها– نشأت: الدعاية السياسية والمالية والمعلومات والصحة والمجتمع."[2] ويشرح بن عبورة هذه المصالح في الصفحات: 44-45-46..

أ– فرع الدعاية السياسية(برابح عبد القادر) تهتم بتحرير المنشورات ووضع المراسلات (للمشبوهين).

ب– فرع المالية: (دحو دحاوي) وهو السند المالي للشبكة الحضرية والمناطق النضالية المجاورة، مهمته جمع المال والضريبة الثورية وتسيير اقتصاد الشبكة بوهران.

[1]–محمد بن عبورة، مشوار مقاوم.. ص: 44.

[2]–محمد بن عبورة، المرجع نفسه.

ج- الفرع الاجتماعي: (بن زهرة حفيني) الدعم المادي والمالي للعائلات الوهرانية التي ينتمي أبناؤها للجبل أو سجناء أو شهداء. وتعيين الملاجئ وسط العائلات الوطنية وربط الاتصال بين وهران ووجدة.

د- الفرع الطبي: (مخطاري محمد) مكلف بجمع الأدوية وعتاد الجراحة والاتصال بالأطباء الجزائريين المتخصصين من أجل القضية(الدكتور مجبر- د. بلاسكا- د. بن اسماعين..) وكذا تنصيب الممرضين والممرضات للتوجه إلى الجبل.

هـ- فرع الاستعلامات: (بن عبورة محمد) مكون من أعوان السلم المجندين للقضية الوطنية، والمنتسبين للأمن المركزي بوهران، وهم موظفون في إدارة المحافظة مهمتهم الإبلاغ عن عمليات التمشيط التي تقوم بها الشرطة أو إلقاء القبض على بعض أعضاء الشبكة، وإصدار بطاقات تعريف ووثائق مزورة لتنقل أعضاء المنظمة في المدينة وفي الريف، ووضع قائمة بأسماء المشاركين والأشخاص المعادين لاستقلال الجزائر من أجل القضاء عليهم لقد قامت الشبكة بإستراتيجية موفقة عن طريق حرب العصابات بزعزعة الإدارة الاستعمارية المحلية وجعلها في استنفار دائم.

12- ترجمة لشخصيتين: وبعد هذا سنختار نموذجين من المحكوم عليهم بالإعدام لنتعرف عليهما أكثر، وهما بغدادي محمد وسلماني شعبان وهذا اعتمادا على ما جاء في كتاب المجاهد محمد فريحة:

أ- **بغدادي محمد** المعروف بـ: "سي عبد الوهاب." حكم عليه بالإعدام خمس مرات. ولد بغدادي محمد في 28 أبريل 1928 بتلمسان عاش منذ نعومة أظفاره في وسط وطني، وكانت له علاقات مع رجال زعماء وبخاصة حاج بن عَلا- زبانة- بن عبد المالك رمضان- العربي بن مهيدي وفي سنة 1953 تم توقيفه وحبسه في سجن وهران بسبب أعمال من المحتمل أنها تسيء إلى الدفاع الوطني للاستعمار. وبعد إطلاق سراحه التقى بالمسؤولين الرئيسيين للحركة عند فيزي صالح في حي مديوني وبوحو أرزقي في شارع فيليب.

لم يشارك بغدادي في عمليات أول نوفمبر 1954 لأسباب غير معروفة لكن حاج علا قال عنه فيما بعد: "بغدادي وكذلك حوحة وسماش وبن طاهر هم من أعضاء الشبكات النائمة. "وبعد توقيف واضعي القنابل وأعضاء الشبكتين النشيطتين في وهران، تم تعيين بغدادي المعروف بـ: "سي عبد الوهاب" رسميا من قبل مسؤول منطقة وهران كرئيس سياسي-عسكري للمدينة ينوبه مولاي امحمد.

وقد فشلت قوات الاحتلال -طيلة ثلاثة أشهر- في وقف الأنشطة المتزايدة لأعضاء الجناح العسكري للشبكة. كان بغدادي محمد موصوفا بالرجل غير المرئي من قبل مجموعات "الخضار" لـ (Château-Neuf)، تم نقل اسمه المستعار إلى كل الأجهزة الأمنية لكن دون جدوى. وفي هذا

الإطار قام المحافظ الإقليمي (Bordier) باستدعاء المختصين لوضع صورة مقربة لإنسان مبحوث عنه.

ولكن وبسبب الأوصاف التي قدمها أحد الأعضاء الموقوفين من الشبكة، تم القبض عليه في جانفي 1957 في إحدى الفيلات بشارع الجنرال كلافيي في حي شُوبُو مع 98 من رفاقه، وتم تحويله أمام (TPFA) وقد تلقى خمس أحكام بالإعدام. وتم رفض الرئيس الفرنسي طلبه العفو وأعدم في أول جوي 1959 على الخامسة صباحا في مركز الرماية بكاناسطيل بالقرب من وهران.

ب– سَلماني شعبان: الخياط الفدائي. ولد سَلماني شعبان سنة 1932 بتيزي وزو (ابن محامد ومسعود ظريفة) ينتسب إلى عائلة متعددة الأفراد كانت تعيش في فقر مدقع. غادر بلدته وهو في ريعان شبابه ليستقر في مدينة وهران، وبالضبط في حي المدينة الجديدة. اشتغل مساعدا عند خياط من عائلة دوايْدي، وبعد سنتين فتح متجره الخاص للملابس والتنميق في شارع الجنرال نيقري بالحي نفسه.

وفي سنة 1956 (يذكر بن عياد قدور سنة 1957) انضم إلى صفوف المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني لمدينة وهران، كانت بالنسبة إليه فرصة للالتقاء بمختلف مسؤولي جبهة التحرير الوطني، وبالأخص بن الطاهر عبد الرحمن ومولاي أحمد الذين قاما بضمه إلى إحدى خلايا الفدائيين بحي الحمري.

في هذه الخلية نفسها قام بعدة عمليات مسلحة في مختلف أحياء المدينة وبسبب شجاعته وروحه الوطنية أصبح مساعد مسؤول إحدى المجموعات في خلية فدائية بحي الحمري، وكان محل تقدير كبير ومسموع لدى كبار المسؤولين في الشبكة. وعلى إثر بوح من أحد الفدائيين الذي اعتقل وتعرضه للتعذيب من قبل المصالح المختصة للجيش الاستعماري قامت الشرطة الجنائية بحصار مجموعة من المنازل واعتقال سلماني شعبان.

بعد إقامة لعدة أشهر في محلات الرعب المحلية، تم سجنه في مركز الحبس الاحتياطي بوهران، ثم مثل أمام قضاة عسكريين. حيث حُكم عليه بالإعدام، بعد أن رفض الجنرال ديغول طلبه العفو. وتم إعدامه بالمقصلة في ساحة السجن يوم 28 جانفي 1958 في الساعة (5h,28) صباحا.

يذكر المجاهد **بن عياد قدور**[1] أنه عايش الشهيد سلماني شعبان وشريط علي الشريف في الزنزانة رقم 13 بسجن وهران[2]، وأن الشهيد

[1]– يذكر أنه كان "مسؤول فِدَا" في وهران سنة 1957. وأنه هاجم مقهى فرنسي في حي كارطو هو ومحمد بن ميمون يوم 14 جوي 1957 وألقوا قنبلة يدوية واشتبكا مع العسكر الفرنسي، وتم القبض عليهما وحكمت عليهما المحكمة العسكرية بحي سيدي الهواري بالإعدام. وعذبا عند الشرطة القضائية. وفي السجن التقيا بمجاهدين منهم علي شريط الشريف وعمور أحمد وفرحات محمد ونقادي الجيلالي وبن علا الحاج وقراب لوسيان.... وقد تنقل بين سجن وهران بالمدينة الجديدة ومنه إلى سجن سركاجي ثم باتنة وفي سنة 1958 تم العفو عنهما.

[2]–يقول عبورة محمد في المرجع السابق، ص: 71: كانت الزنزانة رقم 13 المسماة "القهرة" هي الشهيرة من بين الزنزانات في حي المعدومين، إذ ما إن يدخل فيها متهم حتى يتيقن الجميع بإعدامه في فجر اليوم الموالي.

سلماني شعبان كان آخر معدوم بالمقصلة، وأنه(بن عياد) آخر من بقي من رفقاء الشهيد. وأنه حضر اللحظات الأخيرة قبل عملية الإعدام (28 جوي 1957)، ويذكر أن الرجلين قاما يصليان وأخبراه بأنه سينفذ فيهما الحكم بالإعدام بعد أن أعلمهم بذلك المحاميان جيجال وبوقيرار (عينتهم الجبهة) الذيْن أخبراهما بأن الجنرال ديغول رفض طلبهما العفو. وأضاف المجاهد بن عياد أن رجال السجن هجموا على الزنزانة في الساعة الرابعة صباحا بحضور كل من وكيل الجمهورية ووكيل السجن والحراس والإمام الشيخ بوكرسي وقام الحراس بنزع السلاسل عنهما من الأرجل وقيدوا أيديهما خلف الظهر. وأن المجاهدَيْن هتفا: الله أكبر.. تحيا الجزائر، المجد والخلود للشهداء الأبرار.)[1].

وأخيرا لا يسعني إلا أن أهنئ المكتبة الجزائرية على مثل هذه الشهادات والدراسات المتأنية والرصينة، لتبقى شعلة المجاهدين والشهداء وقادة تنير درب المستقبل للأجيال القادمة. ونتمنى المزيد من المذكرات والشهادات من مجاهدي الثورة التحريرية. والمزيد من عقد الندوات التي تميط الغبار عن بعض أحداث الثورة. كما يجب تعميم الفائدة بطبع مثل هذه الشهادات والدراسات ووضعها في المكتبات العامة، ليتسنى للطلبة والباحثين الاطلاع عليها وإثرائها.

[1]–أمدنا المجاهد بن عياد قدور رئيس "الجمعية الولائية لقدماء المحكوم عليهم بالإعدام 1954–1962" بمختصر عن حياة الشهيد، المقابلة في مقر الجمعية يوم 2021/6/6. ما يزال المجاهد بن عياد يتمتع بصحة جيدة عندما قابلناه في التاريخ المذكور.